﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾ [يوسف: 56 - 57]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لِمَا قَبْلَهُما:

تَكملةُ المَشاهِدِ، لتأكيدِ أنّ الله تعالى حين يَهَبُ، فعطاؤُه ممدودٌ، وليست تَحُدُّه حدودٌ

لمّا كانتِ الآيتان السّابقتان قد ذكرتا موقفَ الملك من يوسفَ ﷺ، بعد أن كلّمَه وأُعجبَ بكلامه وبنَمَطِ تفكيرِه، وقبّلَ ذلك بأمانته، ثمّ أعلن له أنّه قد صار لديه من هذا اليوم مكينًا أمينًا، ثمّ ما تلا ذلك من طلب يوسفَ ﷺ أن يتولّى مسؤوليةَ إدارةِ خزائنِ الأرض - الدّولة - منَ الميرَة والأموال؛ لأنّه ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾. بعد ذلك بيّنتْ هاتان الآيتان، أنّه ﷺ قد أُجيبَ إلى طلبه بالتّمكين ممّا طلبَه بتيسير الله، فقال سبحانه "مُعلِمًا بأنه أُجيب بتسخير الله له: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾؛ أيْ: ومثلُ ما مكنّا ليوسفَ في قلب الملك منَ المودّة والاعتقادِ الصّالح، وفي قلوب جميعِ النّاس، ومثلُ ما سألَ منَ التّمكين ﴿مَكَّنَّا﴾؛ أيْ: بما لنا منَ العَظَمة ﴿لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أيْ: مُطلقًا، لا سيما أرضِ مصرَ، بتولية ملِكِها إيّاه عليها"[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَكَّنَّا﴾: فعلٌ ماضٍ جَذْرُه (مكن)، وله أصلٌ واحدٌ[2]، يدور معناه حولَ رُسوخِ الشَّيْءِ مُتَجَمِّعًا في باطنٍ يَلْتَئِمُ عليه، كبَيْضِ الضِّبابِ والجَرادِ في باطنِهما، والتّمكُّنُ: رسوخٌ في باطن، مكَّنَهُ منَ الشَّيءِ، ومكَّن له: جَعَلَ له عليه سلطانًا وقُدْرَةً، والتَّمكينُ من

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/132.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مكن).

الشّيء: إنالةُ ما يصحُّ به الفعلُ من الآلاتِ والقُوَى[1]. قال الجوهريُّ: "والمكانة: المنزلة. وفلان مكينٌ عند فلانٍ: بَيّنُ المكانة. والمكانة: المَوْضع. قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ [يس: 67]، قال: ولما كثر لزومُ الميم، تُوهِّمتْ أصليّةً، فقيل: تمكّنَ، كما قالوا منَ المسكين: تمسْكَن[2]، ومكنّا ليوسفَ: جَعَلْناه في المكانةِ الرّفيعة منَ السّلطان والجاه[3].

2) ﴿يَتَبَوَّأُ﴾: أصلُ البَواء: مساواةُ الأجزاءِ في المكانِ. يُقال: مكانٌ بَواءٌ: إذا لم يكن نابيًا بنازله، وبَوَّأْتُ له مكانًا: سوّيتُه فَتَبَوَّأ، قال تعالى: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾[4]، وتبوَّأ فلانٌ منزلًا إذا اتَّخَذَهُ، وتبوَّأ: هيَّأ وأصلحَ، وتبوَّأ: نزلَ وأقامَ[5].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كما مَنَنّا على يوسُفَ بالبراءةِ والخلاصِ من السِّجْنِ، مَننّا عليه بالتَّمكينِ له في مِصْرَ، بعدَ الحبسِ والضّيقِ، والعبوديةِ والأسرِ، فصارَ يَنْزِلُ ويُقيمُ في أيِّ مكانٍ شاءَ، ويصنعُ فيها ما يشاءُ، نُعطي من رَحْمَتِنا في الدُّنيا مَن نشاءُ من عبادِنا، ولا نُضيعُ ثوابَ المُحْسِنينَ، بَلْ نوفّيهم إيّاه كاملًا غيرَ منقوصٍ، ولَثوابُ اللّه الَّذي أعدَّهُ في الآخرةِ خَيْرٌ من ثوابِ الدُّنيا للّذينَ آمنوا باللّه وكانوا يتَّقونَه، بامتثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ[6]. والآيةُ الكريمةُ تُبَيِّنُ أنَّ أجْرَ الآخِرَةِ خَيْرٌ من هَذا الَّذي رأيناهُ ليوسفَ الصِّدّيقِ، عليه السلام، وإنَّما يَسْتحقُّه مَنْ كانَ فيهِ وَصْفان: الوصفُ الأوَّلُ: الإيمانُ، وهو يشملُ الإيمانَ باللّه تعالى، وهو

**التَّمْكينُ بعدَ الابْتلاءِ من سُنَنِ اللّه تعالى، في عبادِهِ الصّالِحين أَوْصافُ مَن يَستَحقُّ ثوابَ الآخرةِ**

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (مكن).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 15/20.
(4) الرّاغب، المفردات: (باء).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (باء).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 16/151، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/252، وجماعةٌ من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 242.

رأسُ الإيمانِ، والإيمانَ بالحقِّ، والإيمانَ بالفضائلِ، والإيمانَ بحقوقِ النّاسِ، وحمايةَ هذهِ الحقوقِ. والإيمانُ باللّه تعالى يتضمَّنُ هذا كُلَّه. والوصفُ الثّاني: التَّقوى والاستمرارُ عليها، والتَّقوى استشعارُ خشيةِ اللّه تعالى، وأنْ يجعلوا بينهم وبينَ المفاسدِ أيًّا كانت وقايةً منَ الانحدارِ في مخازي الشّيطان[1]، وجوازُ الحيلةِ للوصولِ إلى مطلبٍ شرعيٍّ بشرطِ عدمِ الإضرارِ بالآخرين[2].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### دَلالةُ الواوِ على الاستئنافِ، في الآيةِ الكريمةِ:

تَـلـوُّنُ حـرْفِ المـعـنـى، بـين الاسـتـئـنـافِ والـعـطـفِ، يـفسحُ المعنى لأكثرَ من دلالةٍ

الواوُ في قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ هي واوُ الاستئناف[3]، والجملة مستأنَفةٌ لا محلَّ لها منَ الإعراب، ويمكنُ أن تكون عاطفةً من باب عطف القصّة على القصّة، ولها أثرٌ في الإبانة عنِ المُراد، في المعنى المُستفادِ.

### بَلاغةُ التّشْبيهِ في جملةِ الاسْتِئنافِ:

تـمـكـينُ الـلـه ليوسفَ مُعجزةٌ خارقةٌ في ظروفٍ صنعَتْها القُدرةُ ولم تكنْ سانحةً

والكلام مبنيٌّ على التّشبيه؛ أيْ: ومثلُ ما مكّنا ليوسفَ في قلب الملكِ، منَ المودّة والاعتقادِ الصّالحِ، وفي قلوب جميعِ النّاس، ومثلُ ما سأل هو منَ التّمكين: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4].

### معنى الكافِ ودَلالتُها:

مـن مكّنَتْه يدُ الله، خَضَعتْ لـه سـائـرُ المُسخَّراتِ بإذن الله

في قولِ الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ جاءتِ الكافُ نائبَ مفعولٍ مُطلقٍ؛ أيْ: مكّنّا ليوسفَ تمكينًا مثلَ ذلك التّمكين[5]، وهي أداةُ تشبيه دالةٌ على وجود تشبيهٍ في الجملة، والمعنى: "أنّه بهذا التّدبير الّذي كان منَ الله، أصبح يوسفُ مُمكّنًا في الأرض ذا سلطانٍ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3836.
(2) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ دَليلٌ على إجازَةِ الحيلَةِ في التَّوَصُّلِ إلى المُباحِ، وما فيه الغِبْطَةُ والصَّلاحُ، واسْتِخْراجُ الحُقوقِ.
(3) الخرّاط، المُجتَبى: 2/507، والخطيب وآخران، التّفصيل: 7/12.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/132.
(5) الخرّاط، المجتبى: 2/507.

فيها، يفعلُ ما يشاء، ويُمضي ما يُريد، غيرَ واقعٍ تحت سلطانِ أحدٍ.. وأنّه لا خوفَ من مثل هذا السّلطانِ المُطلقِ، الّذي قام عليه حارسان لا يَغفلان، هما الحفظُ للأمانة، والعلمُ بمواقع الخيرِ للنّاس"[1].

### بَلاغةُ التّشْبيهِ المُرَكّبِ:

بـيـانُ مَـعـالـمِ التَّمْكينِ ليوسفَ الأمينِ، بأسلوبٍ بيانيٍّ جميلٍ

أيْ: ومثلُ ذلك التّمكين الظّاهرِ ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾[2]، وذلك أنّه شبَّه تمكينَ الله تعالى: ﴿لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾، وهو من إنعامِه عليه، بتمكينِه إيّاه في قلب الملك وقلوبِ النّاس، وإنعامِه عليه بإخراجِه منَ الجُبّ وبالبراءة، وبالنّبوةِ وغيرِها. والجامعُ بين رُكنَيِ التّشبيه، هو إنعامُ الله تعالى على يوسفَ عليه السلام في الحالَيْن.

### نُكتةُ التّعبيرِ باسْمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

الـدّلالـةُ عـلى عُلُوِّ تمكينِ الله لـيـوسـفَ عليه السلام وعُلُوِّ مكانتِه

أُشيرَ إلى التّمكينِ باسْمِ الإشارةِ الدّالِّ على البُعد، للدّلالةِ على عُلوِّ هذا التّمكين وبُعدِ مكانته، وأنّه قد "بلغ غايةَ ما يُطلبُ من نوعه، بحيث لو أُريد تشبيهُه بتمكينٍ أتمَّ منه لَما كان، إلّا أن يُشبَّه بنفسه"[3]، وهو أحدُ وجهَيْن في إجراء التّشبيه في الآية، أحدُهما الّذي مضى سابقًا في فقرة إجراءِ التّشبيه المُركّب، والثّاني هو هذا، وكأنّه من باب تشبيه الشّيء بنفسِه "فتكونُ الكافُ في محلّ نصبٍ على المفعول المُطلقِ، والتّقديرُ: مكنّا ليوسفَ تمكينًا كذلك التّمكينِ"[4].

### نُكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿مَكَّنَّا﴾، مادّةً وصيغةً:

الدّلالةُ على قُوّةِ التّمكُّنِ وكونه قـد حـصـلَ من أوّلِ الأمرِ

أمّا بالنّسبةِ للمادّةِ (مكن)، فمآلُها إلى الاستقرار والقوّةِ، والتّمكُّنِ منَ الشّيء والرّسوخِ[5] أيضًا.

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 7/7.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/483، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/255.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/246.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/446.
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).

أمّا الصّيغةُ وهي التّعبيرُ بالماضي للدّلالةِ على تحقّق حصولِ التّمكين له ﷺ "من أوّل الأمر، لا أنّه حصلَ بعد السّؤال"[1].

### نُكتةُ إضافةِ التَّمْكين إلى ضميرِ العَظَمةِ للمتكلّمِ:

ما يُسنَدُ منَ الأفعالِ إلى العظيمِ فهو لا محالةَ عظيمٌ

في إسنادِ التّمكينِ إلى ضميرِ العَظَمةِ دليلٌ على قيمتِه ومقدارِه، فهو عظيمٌ لكونِه مُسندًا إلى عظيمٍ.

وفيه كذلك الدّلالةُ على "تشريفِه ﷺ، والمبالغةِ في كمال ولايتِه"[2]، "وإرادةُ اللّه تعالى التّمكينَ؛ أيْ: كهذا الّذي رآه القارئُ في القصّة، كان تمكينُ اللّه ليوسفَ ﷺ، فهذا التّشْبيهُ يُفيدُ أنّ ما كان ليوسفَ في هذه الأدوار، كان بتمكين اللّه"[3].

### معنَى اللّامِ في: ﴿لِيُوسُفَ﴾:

اللّامُ في ﴿لِيُوسُفَ﴾ قيل: زائدةٌ. على رأي مَن يُجيزُ ذلك[4]، وقد جوِّزَ أن تكون ناصرةً للفعل على معنى: مكنّا له الأمورَ[5].

### بَلاغةُ الإظْهارِ بعدَ الإضْمارِ:

تكريمُه ﷺ بإظْهارِ اسمِه من فصيحِ البيانِ عن مقامِه وعُلوِّ شأنِه

في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أُظهرَ اسْمُ (يوسف) ﷺ بعد سبْقِ الإخبارِ عنه بالضّمائر فيما سبقَ، إكرامًا له ﷺ، وإبرازًا لاسْمِه الشّريفِ بعد أنِ امتنّ اللّه عليه بالولايةِ والتّمكينِ بعد السّجن، وبالإكرامِ والإنعامِ بعد ما عاناه من شدائدَ ومصاعبَ.

### دَلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿فِي﴾ الظّرفيّةِ:

الدّلالةُ على الاستقرارِ والتّمكّنِ، بحزْفِ المعنى من فصيحِ البيانِ

دلَّ التّعبيرُ بـ ﴿فِي﴾ الّتي تُفيدُ الظّرفيّةَ المجازيّةَ، والظّرفيّةُ تُفيدُ الاستقرارَ والتّمكُّنَ؛ للإشارة إلى الحالة الجديدةِ الّتي انتقل إليها ﷺ، منَ الضِّدّ إلى الضّدِّ، فقد مكّنَه اللّه من أن يَرتقيَ مكانَ العزِّ،

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/8.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/8.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3835.
(4) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 6/515، والعُكْبريّ، التّبيان: 2/736.
(5) الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 3/603.

بعد أن توعّدَتْه امرأةُ العزيز بأن يكونَ ﴿مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝٣٢﴾ [يوسف: 32]، بل ربّما مكانَ العزيز نفسِه الّذي كان قد أودعَه السّجنَ. وسُبحانَ مَن يغيّرُ ولا يتغيّرُ، وينزعُ الملك ممّن يشاء، ويُؤتيه مَن يشاء بحكمتِه البالغةِ، في العطاء والمنعِ.

**معنَى(أل) في: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:**

أرضُ مصرَ بلدٌ مباركٌ حَدثتْ فيه القصّةُ ونوّهَ به السّياقُ القرآنيّ

(أل) في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ هي العهديّةُ؛ أيْ: أرضُ مصرَ، الّتي كان يحكمُها ذلك الملكُ، كما سبقَ أن تمّ توجيهُها؛ (أيْ: اللّام) في قوله: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾.

**نُكتةُ الفصْلِ: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾:**

الفَصْلُ إمّا لكوْنِ الجملةِ بيانيّةً أو حاليةً

نُكتةُ فصلِ جملةِ ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾، هو كونُها بيانًا لقوله: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾.

ويجوزُ أن تكونَ حالًا من ﴿لِيُوسُفَ﴾[1] فيكونَ ذلك أيضًا مُسوِّغًا للفصلِ، حيث إنّ فعلَها مضارعٌ مُثْبَتٌ، وكونُ فعلِ الجملةِ الحالية كذلك، هو منَ الحالات الّتي تُفْصلُ فيها الجملةُ الحاليةُ[2]، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦﴾ [يوسف: 16] فقوله: ﴿يَبْكُونَ ۝١٦﴾ [يوسف: 16] جملةٌ حاليةٌ، فعلُها مضارعٌ مُثبَتٌ، ولذا تمّ فصْلُها.

**دَلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿يَتَبَوَّأُ﴾:**

اتّخاذُه ﷺ بيوتًا ومقرّاتٍ، في سائرِ الدّولةِ لتَيسيرِ متابعةِ المسؤوليّاتِ

دَلالةُ الفعلِ على كثرةِ تجوُّلِه ﷺ في البلادِ واتّخاذِ مقرّاتٍ لمتابعةِ المسؤوليّاتِ والالتقاءِ بالنّاس، والتّبوّء: تفعُّلٌ منَ البَوْء؛ أيْ: الرّجوعُ، وأصلُه منَ المَباءة؛ وهي المَرْجِعُ. قال الأعشى:

وَما بَوَّأَ الرَّحْمَنُ بَيْتَك مَنْزِلًا *** بِشَرْقيِّ أجْيادِ الصَّفا والمُحَرَّمِ[3]

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/10.
(2) الجُرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 204، والهاشميّ، جواهر البلاغة، ص: 188.
(3) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 3/379.

وقد يُفهمُ منه أيضًا أنّه ﷻ جعلَ لنفسه بيتًا في أكثرَ من مكان[1]؛ أيْ: بسبب كثرةِ تجوّلِه في أنحاء الدّولةِ، ورعايةِ المصالحِ فيها، ومتابعتِها ومقابلةِ أهلِها للوقوف على مشكلاتِهم وحاجيّاتِهم.

### غرَضُ الإضْمارِ بعدَ الإظْهارِ في فاعل ﴿يَتَبَوَّأُ﴾:

إذا أُمِنَ اللَّبْسُ كان الإضمارُ آثرَ وأبلغَ في السّياقِ

أُضْمرَ فاعلُ ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ لانصرافِه إلى المُظهَرِ قبلَه، وهو ﴿لِيُوسُفَ﴾ بلا أدنى التباسٍ، في أن يعودَ إلى الملك، لكونِه المذكورَ، وليس الملكُ، ولأنّ الملكَ كان مُمَكَّنا له في دولتِه من قِبَله، ويتبوّأُ فيها حيث يشاء.

### نُكتةُ حذْفِ مُتعلَّقِ التّبوُّءِ في السّياقِ:

حذفُ المفعولِ للتّعميمِ، مُفيدٌ في الإبانةِ والإيضاحِ للمعنى

حُذفَ مُتعلّقُ التّبوُّءِ لإطلاق معناه، بعيدًا عن قيْدِ الذّكْر الّذي قد يحدُّ من طلاقةِ معناه. والتّقديرُ: مكّنّا له كلَّ شيء، أو "مكّنّا له الأمورَ"[2] ونحوُ هذا ممّا يلائمُ عمومَ معنى المحذوفِ وطلاقتِه.

### معنَى (من) في شبْهِ الجملة ﴿مِنْهَا﴾:

بيانُ مجالِ التّبوُّءِ في مِصرَ قاطبةً بإطلاقِ يدِه في الحُكمِ والتّسْييرِ

(من) في ﴿مِنْهَا﴾ بيانيّةٌ لا تبعيضيّةً؛ لأنّ الملِك أطلقَ له حريةَ التّصرّفِ في سائر الدّولةِ، وليس في جزء منها، "وبذلك أنعم الله على يوسفَ نعمةً جليلةً، فجعل له سلطانًا وقدرةً في أرض مصر، يتبوّأُ منها حيث يشاء، وهذا شأنُ الله في عباده، يهبُ نعمتَه لمَن يختارُه منهم، ولا يُضيعُ أجرَ المحسنين"[3].

### عَوْدُ الضّميرِ في شِبْهِ الجملةِ ﴿مِنْهَا﴾:

مَن بوّأه الله منَ الأرضِ، وضعَ له قَبولًا وبسَطَ له سُلطانًا

الضّميرُ يعودُ إلى ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ وهي مصرُ، ومنها جارٌّ ومجرور، متعلِّقان بيتبوّأ، والمعنى: "مِنْها؛ أيْ: ينزلُ من بلادها حَيْثُ يَشاءُ، وذلك أنّه ﷻ، لَمّا ولّاه النّظرَ على خزائن مصر، تجوّل في قُطرها، وطاف قُراها، والأمرُ أمرُه، والإشارةُ إشارتُه، عنايةً منه تعالى ورحمةً"[4].

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 11/7002.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/8.
(3) إبراهيم القطّان، تيسير التّفسير: 2/257.
(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/193.

### معنَى ﴿حَيۡثُ﴾ وموقعُها في السّياقِ:

﴿حَيۡثُ﴾ ظرفُ مكانٍ، وَقد ترِدُ للزّمان، والغالِبُ فيها كونُها في مَحلّ نصبٍ على الظَّرْفيَّةِ، أو خفْضٍ بِمن وقد تُخْفضُ بغَيْرِها[1]، وهي هنا يجوزُ أن تكونَ ظرفًا لـ ﴿يَتَبَوَّأُ﴾، ويجوزُ أنْ تكونَ مفعولًا به[2]، والمعنى: "ينزلُ من بلادها ﴿حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ ويتّخِذُه مَباءةً، وهو عبارةٌ عن كمال قدرتِه على التّصرّف فيها، ودخولِها تحت مملكتِه وسُلطانِه، فكأنّها منزلُه، يتصرّفُ فيها كما يتصرّف الرّجلُ في منزله"[3].

إفـادةُ اتّـسـاعِ سُلطانِ يوسفَ وتـمـكّـنِـه مـنَ الأرضِ كما أراد الله وقدّرَ

### نُكتةُ التّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَشَآءُۚ﴾:

التّعبيرُ بالمضارعِ في ﴿يَشَآءُۚ﴾ يُفيدُ الاستمرارَ والتّجدُّدَ مهما تكرّرتِ المشيئةُ، ومعنى ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾؛ أيْ: "ينزلُ من بلادِها حيث يريدُ هو، أو ينزلُ منها حيث نريدُ، ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، بل نُوفّي أجورَهم عاجلًا وآجلًا. ويوسفُ أفضلُهم في زمانه، فمكَّنَه اللّه من أرض مصرَ، حتّى ملكَها بأجمعِها"[4].

مَـن أرادَ اللـه لـه الـتّـمْـكـينَ بـوّأه مـنَ الأرضِ كـمـا يـفـعـلُ بالصّالحين

### بَلاغةُ تَوجيهِ القراءاتِ القرآنيّةِ في ﴿يَشَآءُۚ﴾:

قرأ ابنُ كثير ﴿نَشَآءُۚ﴾ بالنّون على أنّها نونُ العَظَمةِ للّه تعالى، وقرأ الباقون ﴿يَشَآءُۚ﴾ بالياء على أنّه ضميرُ يوسفَ عليه السلام، وفي هذا تكريمٌ له ما بعده تكريمٌ. ففي ﴿حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ "ويتّخذُه مَباءةً وهو عبارةٌ عن كمال قدرتِه على التّصرُّف فيها ودخولِها تحت مملكتِه وسلطانه، فكأنّها منزلُه يتصرّفُ فيها كما يتصرّفُ الرّجلُ في منزله"، وفي قراءة: ﴿حَيۡثُ نَشَآءُۚ﴾ فيتناسبُ مع قوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ﴾؛ أيْ: بمقتضى الحكمةِ الدّاعيةِ إلى المشيئة[5].

اخْتِلافُ القراءةِ، مفيدٌ في كشْفِ المعاني المتعدّدَةِ

(1) ابن هشام، مُغني اللبيب، ص: 176.
(2) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 6/516.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/257.
(4) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/606.
(5) ا - أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/287.

وجَوَّز أبو حيّانَ أن يكونَ الفاعلُ في قراءة الياء ضميرَ اللّه تعالى، ويكونَ التفاتًا[1].

### بَلاغةُ الكنايةِ في: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾:

بيانُ إطلاقِ تَصرُّفِه ﷺ في مملكةِ مصرَ كيفما شاء

الجملة تدلُّ على إطلاق يده ﷺ، بالتّصرّفِ في سائر الدّولةِ كيفما شاء، وكأنّها كلَّها قد صارت له سكنًا وراحةً، تمامًا كما يتصرّفُ صاحبُ المسكن في مسكنِه، فالجملةُ كنايةٌ عن هذا التّصرّفِ[2].

### نُكتةُ الفصْلِ: ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ﴾:

الاستئنافُ البيانيُّ وأثرُه في ترسيةِ المعاني

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ﴾ على الاستئنافِ البيانيِّ، فكأنّه قيل: لمَ كان هذا؟[3] فقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. أو يكونُ سببُ الفصل هو (كمالُ الاتّصال)، على أن تكونَ الجملةُ تعليليّةً، قد عُلّلت بها الجملةُ السّابقةُ.

### دَلالةُ التّعبيرِ بالمضارعِ بالفعلِ ﴿نُصِيبُ﴾:

رَحمةُ اللهِ مُتعلّقةٌ بمشيئتِه في إحاطةِ مَن أرادَ اللهُ بألطافِها

في التّعبير بالمضارع ﴿نُصِيبُ﴾ دليلٌ على استمرار اللُّطفِ بالرّحمة، لمَن شاءت إرادةُ اللّه تعالى، له ذلك واختصّتْه بها، وفيه معنى: "إنّه تعالى يُصيبُ برحمته مَن يشاء، ولا يُضيعُ أجر المحسنين، الّذين أحسنوا العملَ، وإنّه لم يَضِعْ صبرَ يوسفَ، على أذَى إخوتِه، وصبرَه في السّجن"[4].

### فائدةُ إسنادِ الإصابةِ إلى ضميرِ العظَمةِ:

الإسنادُ إلى ضميرِ العظَمةِ للتّنبيهِ على اختصاصِه سُبحانه بالأمرِ

في إسناد الإصابةِ إلى ضمير العظَمةِ ﴿نُصِيبُ﴾، دليلٌ على اختصاصِ ذلك باللّه تعالى، فهو وحده القادرُ على ذلك، كما يدلُّ

(1) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 6/516.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/264: 13/10.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/132.
(4) حومد، أيسر التّفاسير: 1/1653.

على عظَمةِ هذه الرّحمةِ بمَنِ اختصّه اللّه تعالى بها؛ لكونِها منَ اللّه تعالى.

**معنى الباءِ في: ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾:**

رحمةُ الله عَطاءٌ مـمـدودٌ، وهي سببٌ لكلِّ لُطفٍ وتَكرِمةٍ

الباءُ للإلصاق، وهو أصلُ معناها، أو للسّببية؛ أيْ: بسببِ رحمتِنا "نُصيب برحمتِنا من نشاء؛ أيْ: رحمتِه من عبادنا، ولا نُضيع أجرَ المحسنين، وهذا وعدٌ منَ اللّه تعالى لأهل الإحسان بتوفيتِهم أجورَهم، ويوسفُ ﷺ ممَّن شاء اللّه رحمتَهم كما هو من أهل الإحسان الّذين يُوفّيهمُ اللّه تعالى أجورَهم في الدّنيا والآخرة"[1].

**نُكتةُ إضافةِ الرّحمةِ إلى ضميرِ العَظَمَةِ:**

الرَّحمةُ المُسنَدةُ إلى الرّحيمِ أمانٌ وضمانٌ وتكريمٌ

في إسنادِ الرّحمةِ إلى ضمير العَظَمةِ ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾، أيضًا دليلٌ على اختصاصِ ذلك باللّه تعالى، فهو الّذي يرحمُ مَن يشاء، وقولُه تعالى: بِرَحْمَتِنا؛ أيْ: بإحساننا، والرّحمةُ: النّعمةُ والإحسانُ. وَلا نُضيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ؛ أيْ: لا نُضيعُ ثوابَ الّذين يُحسنون أعمالَهم، فنمنَحُهم في الدّنيا سعادةً وعزّا ومكانةً، وفي الآخرة خلودًا في الجِنان[2]، والإحسانُ جزءٌ من رحمة الرّحمن الّتي تفيضُ بالعطاء واللّطفِ والمَبرّة.

**معنى ﴿مَن﴾ الموصولةِ، ودَلالةُ جملةِ الصّلةِ في السّياقِ:**

الجملةُ الموصولةُ بـنـاءٌ مَـعـنـويٌّ مُتكاملٌ يُعبّرُ عنِ الدّلالةِ بدِقّةٍ

﴿مَن﴾ اسمٌ موصولٌ، واستعمالُها عامّةً (منْ)، عوضَ الموصولات الخاصّةِ، يُشيرُ إلى عموم الرّحمةِ وارتباطِها بالمشيئة، وأنّ العفّةَ والطُّهرَ، من شأنِها أن تؤولَ بصاحبها إلى رِفعة الشّأن وعلوِّ المكانة، وكانت صلةُ الموصول جملةً فعليّةً ترسمُ معالمَ المشيئة الإلهيّة المُطلقةِ، وهي مشيئةٌ راحمةٌ لكلِّ مَن شاءت، وهي لا تَغمِطُ المُحسنين حقَّهم، ولا تُضيعُ إحسانَهم.

(1) الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 2/624.
(2) الزحيلي، التّفسير المنير: 10/13.

### نُكتةُ التّعبيرِ بالمضارع في ﴿نَّشَآءُ﴾:

الدّلالةُ على أنّ رحمةَ اللّه تعالى مَوصولةٌ بمَنِ اختصَّهم بها

للدّلالةِ على أنّ رحمةَ اللّه تعالى، موصولةٌ بمَنِ اختصَّهم بها وأرادها لهم، إذِ المعنى: ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾، أنْ نُصيبَه بالرّحمة من عبادِنا الّذين آمنوا واستَمرّوا على التّقوى[1]، ويدخلُ يوسفُ ﷺ، تحت القصدِ دخولًا أوليًّا.

### نُكتةُ إسنادِ المشيئةِ إلى ضميرِ العَظَمَةِ:

ما شاءَ اللّه كان وما لم يشأْ لم يكُنْ

في إسنادِ المشيئةِ إلى ضمير العَظَمةِ ﴿نَّشَآءُ﴾، دلالةٌ بحسبِ السّياق على ما أصابَ يوسفَ ﷺ من رحمةٍ، فهي بمشيئة اللّه الجاريةِ على مُقتضى الحكمةِ الإلهيّةِ. ومعنى "﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾؛ أيْ: بنعمَتِنا[2]، وهذا مُطلقُ الإنعام، ومُنتهى الإكرامِ، حيث لُطْفُ المشيئةِ الغامرُ، قد طال الأوائلَ والأواخرَ، واستبانَ في عُقبى يوسفَ، بعد الحمايةِ والنّجاةِ والتّمكين.

### فائدةُ العطْفِ في: ﴿وَلَا نُضِيعُ﴾:

حِكمةُ اللّه لا يَضيعُ معها حقٌّ ولا يُستنقصُ إحسانٌ

جملةُ: ﴿وَلَا نُضِيعُ﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾، وكلتاهما نتيجةٌ للسّؤال المُقدّرِ: لماذا مكَّنَ اللّه تعالى ليوسفَ هذا التّمكينَ؟ فكان الجوابُ: قد وقعَ ذلك لأمريْن: **أحدُهما**: أنّ لنا الأمرَ كلَّه ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾، على وجه الاختصاصِ؛ أيْ: وليس على وجه العُمومِ، لتقييدِها بالمشيئة، ويوسفُ ﷺ، قد شاء اللّه له أن يُصيبَه برحمتِه، ويُنعمَ عليه بفضله، **وثانيهما**: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ برحمتِنا وحكمتِنا، وإن كان لنا أن نفعلَ غيرَ ذلك[3].

وهذا عامٌّ وحاصلٌ لكلّ المُحسنين - ويوسفُ ﷺ منهم - دونَ استثناءٍ ولذا لم يُقيّدْه بالمشيئة كما قيَّد سابقَه.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/8.
(2) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 5/232.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/132.

### نُكتةُ التّعبيرِ بالمضارع في: ﴿وَلَا نُضِيعُ﴾:

التّعبيرُ بالمضارع في قوله سبحانه: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، للدّلالةِ على ملازمة هذا الفعلِ واسْتِمرارِه، فالله تعالى لا يُضيعُ أجرَ المُحسنين مطلقًا، بل يزيدُه من فضله.

التّعبيرُ بالمضارعِ للدلالةِ على الملازمةِ والاستمرارِ مُفصِحٌ عن المُرادِ منَ السّياقِ

### نُكتةُ إسنادِ الفعلِ ﴿نُضِيعُ﴾ إلى ضميرِ العظَمةِ:

في إسنادِه إلى ضمير العَظَمَة دلالةٌ على أنّه سبحانه وحدَه الّذي لا يُضيع أجرَ المحسنين، وفيه تعريضٌ بالبشر الّذين يتنكّرون للإحسان، ويُحاربون المُحسنين، بدلَ أن يُقدِّروا لهم إحسانَهم ويكافِئوهم عليه.

التّعريضُ بغيرِ المُحْسِنين بعد طَمْأنةِ المُحْسِنين على أجرِهم المُستَحَقِّ

### نُكتةُ إضافةِ الأجرِ للمُحْسِنين:

وفي تلك الإضافةِ فائدةٌ هي أنّ هذا الأجرَ والإنعامَ الّذي أصاب يوسفَ ﷺ، والّذي يُصيب كلَّ المُحسنين، إنّما هو بسببِ إحسانِهم، والمعنى: أيْ: "نختصُّ بنعمتنا: (النّبوَّةِ والإسلامِ والنّجاةِ) مَن نشاء ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ يعني: لا نُبطلُ ثوابَ المُوحِّدين، حتّى نُوفّيَه جزاءَه في الدّنيا، ومع ذلك له ثوابٌ في الآخرة"[1]، وكلُّ مَن صبر جُوزي على ذلك، قال أحدُهم:

وراءَ مَضيقِ الخَوْفِ مُتَّسَعُ الأَمْنِ *** وأوَّلُ مَفْرُوحٍ بِهِ آخِرُ الحُزْنِ

فلا تيْأَسَنْ فَاللّه مَلَّكَ يوسُفًا *** خزائِنَهُ بعد الخَلاصِ من السِّجْنِ[2]

التزمَ الله تعالى بحفظِ أجرِ العاملين لأنّه لا يُضيعُ أجرَ المُحسِنين

### دَلالةُ (أل) في: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

(أل) في ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ هي الجنسيّةُ المُفيدةُ للاستغراقِ، وهي تجعل الاسْمَ مُفيدًا للعموم، لكنْ على أن يدخلَ فيه دخولًا أوّليًّا يوسفَ ﷺ؛ لأنّه محورُ السّياقِ، وعليه يدورُ الكلام، وهو الموصوفُ

يوسفُ هو محورُ الإحسانِ وغُصْنُه الفينانُ على مدَى الزّمانِ

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/198.

(2) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 5/233.

في السّورة من قبلُ ومن بعدُ، بأنّه منهم ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: 36، 78].

### نُكتةُ حذْفِ متعلَّقِ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

حـذْفُ المتعلَّقِ لإفـادةِ العمومِ مـن فَـصـيـحِ البيانِ

حُذفَ مُتعلَّقُ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لإفادة العموم حتّى لا يُقيَّدَ بنوعٍ محّددٍ من أنواع الإحسانِ، وعدمِ إضاعةِ أجرِ المُحسنين، بمعنى: نوفّيه بكمالِه، وفيه إشعارٌ بأنّ مدارَ المشيئةِ المذكورةِ، إحسانُ مَنْ تصيبُه الرّحمةُ المرقومةُ، وأنّها أجرٌ له ولدفْعِ توهّمِ انحصارِ ثمراتِ الإحسانِ، فيما ذكرَ منَ الأجرِ العاجلِ[1].

### نُكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

الـدّلالـةُ على عـراقـةِ صـفـةِ الإحـسـان ورُسـوخِـهـا في المحسنين

عبّرَ القرآنُ الكريمُ بالاسْمِ المجموعِ جمْعَ سلامةٍ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، مُؤثِرًا إيّاه على التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصِلتِه (الّذين أحسنوا) أو (الّذين يُحسنون)، للدّلالةِ على عراقتِهم، في هذه الصّفةِ ورسوخِها فيهم، وأنّها لم تكن مجرّدَ حدَثٍ قد مضى ومرَّ، أو أنّه فعلٌ يتجدّدُ.

### معنَى الواوِ في: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾:

ثـوابُ الآخـرةِ بـالـتّـنـعُّـمِ في الجنانِ خيرٌ منَ الـدّنـيـا ومـتـاعِ العزِّ والسّلطانِ

الواوُ في قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾، هي واوُ الحال[2]، "قال مجاهدٌ وغيرُه: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾؛ أيْ: ثوابُها خَيْرٌ من نَعماء الدّنيا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ"[3]، أو: "إنّ ثوابَ الآخرة للمؤمنين الأتقياءِ، وهو التّنعُّمُ في الجنان خيرٌ وأعظمُ وأكثرُ من خير الدّنيا، وما فيها من متاعِ العزِّ والسّلطانِ، والجاه والملكِ، والمال والزّينةِ ونحوِ ذلك. واللّه تعالى يُخبرُ بهذا أنّ ما ادّخره لنبيِّه يوسفَ عليه السلام، في الدّار الآخرة، أعظمُ وأكثرُ وأجلُّ ممّا أنعمَ عليه منَ التّصرّف والنّفوذِ في الدّنيا"[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/287.
(2) الخطيب وآخران، التّفصيل: 7/15.
(3) المُظهريّ، التّفسير المُظهريّ: 5/175.
(4) الزّحيلي، التّفسير المنير: 13/10.

### دَلالةُ (الْ) في: ﴿وَلَأَجْرُ﴾:

اللّامُ في ﴿وَلَأَجْرُ﴾ للتّأكيدِ، وقيل: للقسَمِ[1]، وعلى أيِّهما أو كليْهما، فالقصدُ هو تأكيدُ حُصولِ الأجر للمُحسِنين، والمعنى: أيْ: ثوابُها خيرٌ من ثواب الدّنيا للمؤمنين المّتقين، إشارةً إلى أنّ المطلبَ الأعلى، هو ثوابُ الآخرة، وأنّ ما يدّخرُ لهؤلاء هو أعظمُ وأجلُّ، ممّا يُخوَّلون به في الدّنيا منَ التّمكينِ في الأرض، والجاه، والثّروةِ والملكِ"[2].

اللّامُ مُفيدةٌ تأكيدَ حُصولِ الأجرِ للمُحسِنين

### نُكتةُ إضافةِ الأجْرِ إلى ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾:

إضافةُ الأجرِ إلى الآخرة للمُلابسةِ[3]، "وأجرُهم هو الجزاءُ الّذي يُجازيهم اللّه به فيها، وهو الجنّةُ الّتي لا ينفدُ نعيمُها، ولا تنقضي مُدّتُها"[4]، وأجرُ الآخرة هو ما يكونُ فيها منَ النّعيم المقيم للمُحْسنين، وهو عطاءٌ يُقوَّمُ بموازين الآخرةِ، وقوانينِ العالم الأبديِّ الأسْمَى، وبقدْرِ كرمِ اللّه الأعلى.

لا نعيمَ يَعْلو فوقَ أجْرِ الآخرةِ، وهو الجزاءُ الأوفى للمُحْسنين البَرَرةِ

### معنَى (أل) في ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾:

(أل) في ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾ للعهدِ، فلا آخرةَ إلّا المعهودةُ المعروفةُ، والمعنَى الدّلاليُّ "فيه وجهان: أحدُهما: ولَأجرُ الآخرة خيرٌ للّذين آمنوا من أجرِ الدّنيا؛ لأنّ أجرَ الآخرة دائمٌ، وأجرَ الدّنيا منقطعٌ، الثّاني: ولَأجرُ الآخرة خيرٌ ليوسفَ منَ التّشاغُلِ بمُلك الدّنيا ونعيمِها، لِما فيه منَ التّبعةِ"[5].

الآخِرةُ المعهودةُ المورودةُ خيرٌ وأبقَى لمَن اتّقَى

### نُكتةُ تنكيرِ ﴿خَيْرٌ﴾، وبنائِها الصّرفِّي (أفعل):

﴿خَيْرٌ﴾: اسمُ تفضيل، وأصلُه: أخْيَر، وحُذفتْ همزتُه تخفيفًا، لكثرةِ الاستعمال[6]، ومثلُه أيضًا كلمةُ (شرّ)، ونكّره لتفخيمِه ولبيان

الجمعُ بين التّنكيرِ والتّفضيلِ، أو في التّعبيرِ عن كمالِ النّعيمِ

(1) الخطيب وآخران، التّفصيل: 7/15.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/15.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/287.
(4) القِنّوجيّ، فتحُ البيان: 6/358.
(5) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/53.
(6) ابن مالك، شرح الكافية: 2/1121، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/251.

أنّه جزيلٌ جدًّا، "والمعنى: ولَثوابُ الآخرة خيرٌ لَمن صدق وآمن، وخاف عقابَ الله ﷻ واتّقاه سبحانه، ممّا أُعطيَ يوسفُ في الدّنيا منَ التّمكين في أرضِ مصرَ"[1]، والنّكرةُ هنا تشملُ كلَّ ألوان الخير، على إطلاق ما يُسمَّى خيرًا في الجنّة العاليةِ، ذاتِ القطوفِ الدّانيةِ.

### نُكتةُ توالي المؤكّداتِ في: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾:

بيانُ المفاضَلةِ بين أجرِ الدّنيا الفاني وأجرِ الآخرةِ الباقي

في هذه الجملة منَ المؤكّداتِ فأوّلًا: اللّامُ الدّاخلةُ على لفظِ ﴿وَلَأَجْرُ﴾، فهي لامُ التّأكيدِ، وثانيًا: اسْميّةُ الجملةِ، وثالثًا: كلمةُ ﴿خَيْرٌ﴾، وهي اسمُ تفضيلٍ.

والغايةُ من هذه المؤكّدات، طَمْأنةُ المؤمنين بضمانة أجرِهم يومَ القيامة كاملًا غيرَ منقوصٍ، إضافةً إلى ما نالوه في الدّنيا من رحمة الله الّتي أصابَتْهم.

### معنَى اللّامِ في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

بَلاغةُ لامِ الاسْتِحقاقِ

اللّامُ في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، هي لامُ الاستحقاقِ، فأجرُ الآخرة مُستَحَقٌّ فقط للّذين آمنوا، "ولمّا تقدّمَ في هذه الآية الإحسانُ منَ العبد، والجَريُ على طريق الحقّ لا يضيعُ عند الله، ولا بدَّ من حُسن عاقبتِه في الدّنيا، عقَّب ذلك بأنّ حالَ الآخرة، أحمدُ وأحرَى، أن تُجعلَ غرضًا ومقصدًا"[2]، وهي جزاءٌ يَستحقُّه الصّابرون منَ المؤمنين المتّقين.

### نُكتةُ التّعبيرِ عنِ المُحسِنين بالاسْمِ الموصولِ، وما عُطفَ عليه:

غرَضُ التّعبيرِ بالموصولِ وصِلتِه، التّنْصيصُ على استحقاقِهمُ الجزاءَ

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، هم أنفسُهم المُعبَّرُ عنهم في الآية السّابقةِ بـ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفي التّعبير عنهم بالاسْمِ الموصولِ ﴿لِّلَّذِينَ﴾ مدحٌ لهم وتشريفٌ، قد نالوه بإيمانِهم وتقواهم؛ لقوله: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. وأمّا ذِكْرُ الصّلةِ وما

(1) مكّيّ بن أبي طالب، الهداية: 5/3590.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/257.

عُطفَ عليها، وهي: ﴿ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، فللتّنصيصِ على سببِ استحقاقِهمُ الأجرَ.

### نُكتةُ تنوع التّعبير بين الماضي والمضارع:

الإيمانُ ثابتٌ والتّقوَى مُتجدِّدةٌ

في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ جاء التّعبيرُ في جانب الإيمانِ بصيغةِ الماضي، وفي جانب التّقوَى بصيغة المضارعِ؛ لأنّ الإيمانَ عقدُ القلبِ الجازمُ، فهو حاصلٌ دفعةً واحدةً. وأمّا التّقوَى فهي متجدِّدةٌ بتجدّدِ أسباب الأمرِ والنّهي واختلافِ الأعمال والأزمانِ[1].

### نُكتةُ دخولِ (كان) مع التّقوَى:

المتقون لا تُفارقُهم تَقْواهم في عُسْرٍ ولا يُسْرٍ

دخولُ (كان) مع التّقوَى مضارعًا ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، دليلٌ على أنّ التّقوَى لم تفارقْهم في الماضي، وأنّها كانت ملازِمةً لهم؛ وذلك أخذًا من صيغةِ الماضي ﴿وَكَانُواْ﴾، ثمّ إنّها حاضرةٌ معهم ومُتجدِّدةٌ أخذًا من صيغةِ المضارعِ في ﴿يَتَّقُونَ﴾[2].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### التَّبوُّءُ والإقامةُ والسّكنُ:

التَّبوُّءُ هو المكانُ الّذي يَبوءُ إليه المرءُ أحيانًا، والإقامةُ والسّكنُ يُفيدان الدّوامَ والاستقرارَ

السُّكونُ: ثبوتُ الشّيءِ بعد تحرُّكٍ، ويُستعملُ في الاستيطان، نحو: سَكَنَ فلانٌ مكانَ كذا؛ أيْ: استوطَنه، ومنه قولُه تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: 37][3]. والسّكنُ: اسمٌ بمعنى المسكونِ. يُقال: سكنَ فلانٌ البيتَ، إذا جعله مقرًّا له، وهو مشتقٌّ منَ السّكون؛ أيْ: القرار[4].

والمعنى المِحوريُّ للسّكن: استقرارٌ في جوفِ حيِّزٍ أو باطنٍ:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/11.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/218.
(3) الرّاغب، المفردات: (سكن).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/238.

كالقوتِ في الجوف. وسَكنَ بالمكان: أقام؛ بمعنى: استقرَّ في جوفه. ومنه قولُه تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: 45]. ويُقال لأهل الدّار: ساكنون؛ لأنهّم يَستقرّون في جوف البيت والمنزل[1].

وأمّا الإقامةُ فهي مِن: أقام بالمكان؛ بمعنى: استقرَّ فيه. وكذلك (المُقامُ) بضمّ الميم، فمعناه: الإقامةُ بالمكان[2]، وأمّا المَقامُ بِالْفَتْح فمصدرُ قامَ يقوم مَقامًا، والمقامُ أيْضًا: مَوضِعُ القيام، والمَقامَة (بِالْفَتْح): المجْلسُ الَّذي يُتحدّثُ فيه[3].

والمُقامةُ (بالضّمّ): الإقامةُ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: 35]؛ أيْ: الإقامة. وقولُه تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ﴾ [الأحزاب: 13] من قام؛ أيْ: لا مستقرَّ لكم[4].

أمّا التّبوُّءُ: تفعُّلٌ من البَوْء؛ أيْ: الرّجوع، وأصلُه من المَباءة؛ وهي المَرْجِعُ.

وكأنّه المكانُ الّذي يرجعُ إليه المرءُ مرّةً بعد مرّةٍ، أوِ المكانُ الّذي يمكثُ فيه المرءُ فترةً مُحدّدةً وليس للإقامةِ ولا السُّكنَى الطّويلةِ المتوارثةِ، كما قال سُبحانه آمرًا رَسولَيْه موسى وهارون عليهما السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس: 87] مُؤثِرًا التّعبيرَ بالتّبوّءِ؛ لأنّه سُبحانه قد قضى عليهم بالخروجِ من مصرَ، وعدمِ الاستقرار فيها، وهذه كانت رسالتَهما عليهما السلام إلى فرعونَ، كما قال سُبحانه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٧﴾ [الشّعراء: 16 - 17]، وبعد هذا، يُبيّنُ لنا أنّ هنالك مُشتركًا وتقاربًا دلاليًّا بين المفرداتِ الثّلاثِ (السّكنِ والإقامةِ والتّبوّءِ)؛ من حيث دلالتُها جميعًا على استقرارٍ بمكانٍ، غيرَ أنّ التّبوّءَ هو أنسبُها هنا، إذ هو المكانُ الّذي يبوءُ إليه المرءُ حينًا بعد حينٍ؛ أيْ: يروحُ منه ويرجعُ إليه؛ أيْ: ليس استقرارًا طويلًا، فيكونُ سُكنى وإقامةً، بل هو استقرارٌ مؤقّتٌ لغرَضٍ مُحدَّدٍ، وهذا أشْبَهُ بالمُكثِ في المَقرّاتِ والاستراحات الّتي يَبوءُ إليها المسؤولون في مختلف أنحاء البلادِ، لمتابعة المسؤوليّاتِ والالتقاءِ بالنّاس. ويُفهمُ منَ التّعبيرِ به في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سكن).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قوم).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 307.
(4) الرّاغب، المفردات: (قوم).

لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾، أنّ يوسفَ ﷺ جعلَ لنفسه بيتًا في أكثرَ من مكانٍ[1]؛ أيْ: بسبب كثرةِ تَجوّلِه في أنحاء الدّولةِ ورعايةِ المصالح فيها ومتابعتِها ومقابلة أهلِها، للوقوف على مُشكلاتِهم وحاجيّاتِهم.

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 11/7002.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»